



هيا بنا نستقبل رمضان..

إذا نزل بإنسان ضيف عظيم الشأن فإنه يشهد كل الطاقات لاستقباله، وإكرامه، وإذا كان هذا في شأن من تقدره أنت، فما بالنا بضيف عظمه الله وكرمه، شرف صوامه وقوامه، ومنحهم فيه من الثواب ما ليس في غيره من الشهور، قال رسول الله ﷺ: «قال الله: كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به»^(١).

ابن رجب عن معلى بن الفضل أنهم: (كانوا يدعون الله تعالى ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، و يدعوهم ستة أشهر أن يتقبل منهم، وقال يحيى بن أبي كثير: كان من دعائهم: اللهم سلمني إلى رمضان وسلم لي رمضان وتسلمه مني متقبلاً)^(٢).

٢- ومن معالم الاستعداد الوجداني والقلبي أن تفرح بقرب

يدخل وهو متيقظ القلب، طاهر النفس لتلقي كرامته، وعلى المكلف المسلم حيال ذلك:

١- أن يبتهل إلى الله تضرعاً أن يبلغه رمضان، فنتهيماً النفس، ويوقظ القلب إلى عظيم قادم، لينتبه ويتنبه، فلا يأتي الشهر بغتة. والقلب والنفس في ثبات أو غفلة.

وقد كان ذلك منهج السلف، ينقل

فيها هو يطرق الأبواب، ويقرب ويقشرب فما الواجب عليك فعله؟ وكيف تعد العدة لنيل خيراته، والفوز ببركاته؟ وإليك أضرب الاستعداد، وأبرز معالمه، وطرفها من وسائله:

الاستعداد الوجداني النفسي

ويعني أن يهيا الإنسان القلب والوجدان لدخول الشهر، حتى

مجيء شهر، الذي فيه كل الخير والبركة، يخاطبنا النبي عنه مذكرا بأسرار الفرح به.. قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه، يفتح فيه أبواب الجنة، ويغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم^(١).

٣- ومن أصول الاستعداد لرمضان تحديد العهد والإنابة لله، فيتوقف عن كل ذنب يضاد الله به، ويندم على كل ما كان منه من تقصير وغفلة، ويعزم بقلبه على ألا يطلق لنفسه العنان لعصيان مرة أخرى، ويعاهد الله صادقاً على ألا يرجع إلى ما كان فيه مرة أخرى، مع رد ما كان متعلقاً بحقوق الناس إليهم أو طلب العفو منهم، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (التور: ٣١).

استعداد الجوارح والأركان

ويقصد به تهيئة الجوارح والأركان نحو التمسك بالسلوكيات الصحيحة، والأخلاق القويمة، ويكون ذلك:

١- بأن يكف المسلم الجوارح عن الآثام والمعاصي وما لا يرضي الله^(٢)، لأن: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْفُوحًا﴾ (الإسراء: ٣٦)، وحتى لا يكون من هؤلاء الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر»^(٣).

فرمضان فرصة للتدريب على كل سلوك جميل، والابتعاد عن كل سلوك قبيح.

٢- ويكون كذلك بالسعي نحو ترشيد الاستهلاك والاقتصاد في أمور الطعام والشرب، وتمط المعيشة، فلا يكون رمضان شهراً للإسراف أو التبذير أو حتى التقتير، وإلى هذا قد أشار القرآن بقوله: ﴿وَسَكَنُوا وَأْتَرَبُوا وَلَا تَسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١).

٣- ويكون كذلك التهيؤ السلوكي: بضبط قواعد الصداقة، فأحاذر ممن يحاول أن يضيع أوقاتي، أو يأخذ بيدي إلى سوء أو الشرور، وأجالس من يدلني على طاعة أو يأخذ بيدي إلى خير؛ لأن: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»^(٤)، فلا يكون التصفيد قد وقع للشيطان، وتفتحه طريقه أنت من ممر آخر!!.

٤- ويكون كذلك بتعظيم الوقت، واستثماره في كل طاعة وبر، فرمضان فرصة عظيمة لمزيد اغتنام الأوقات في القربات والمبرات، فمن قصر في رمضان، فهو بقية عمره أكثر تقصيراً. قال ﷺ: رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ..^(٥) وهذا إيدان بحسرة أي حسرة لمن فاتته رمضان أو خرج منه مضيعاً للوقت، مقصراً في الطاعة!!.

الاستعداد الاجتماعي

ويقصد به: التهيؤ والتتبه لدور الصائم في الإطار المجتمعي، فينعكس الصيام على حياة المسلم

في نطاق من حوله من المجتمع، ومن أبرز معالم ذلك:

١- أن نجعل الصيام فرصة لتوطيد وتفعيل الصلات الاجتماعية مع الأقارب والأهل، فالتعبد بصلة الأرحام من أعظم وأجل الأعمال التي تقرب إلى الله، ورمضان فرصة طيبة لمد أواصر المحبة مع الأرحام، والأقارب، فلا تجعل رمضان إلا مغنماً تبر به أهلك وأرحامك ووالديك، ولنتذكر أنه «ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»^(٦).

٢- أن نجعل الصيام فرصة للعطاء الاجتماعي من خلال الصدقات والزكوات وصنوف المبرات واللوان العطاءات المختلفة، وقد كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل..... فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسله^(٧)، فمد يدك بالعطاء والخير لمن حولك بما عندك، بما، أو علم، أو وقت، أو مكانة، بما استطعت وتيسر لك.

٣- التهيؤ نحو تطبيق سنة النبي في إفطار الصائمين على قدر الطاقة والوسع: قال رسول الله ﷺ: من فطر صائماً كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً^(٨)، وهذا لون من ألوان الجود في ذلك الشهر، بإطعام الطعام الذي تمس الحاجة إليه في ذلك الشهر، ويتحقق الإفطار بتمر أو شربة ماء، ومن زاد زاد الله عليه.

الاستعداد الإيماني

وقوامه جعل الصيام فرصة للتزود من الطاعات والقربات والمبرات من الصلاة، والقيام، والتهدد والذكر وقراءة القرآن وتدبره، والصلاة على النبي... وبيان ذلك أن يحرس الصائم بانتظام على:

١- الإكثار من النوافل: «يقول الله تعالى: وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل، حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»^(١١). فهيا حرص نفسك على كل سنن تقربك من ربك، وتنجب بها إليه، لتنال الفيوضات والخيرات.

٢- التهيؤ نحو قيام رمضان، فلذلك أجز عظيم، وقد ذكر العلماء أن المراد بقيام رمضان صلاة التراويح، يعني أنه يحصل المقصود من القيام بصلاة التراويح^(١٢). وقد جاء في فضل قيام ليلي رمضان قوله ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(١٣). فشمر نحو سنة النبي بالقيام والصلاة، في جماعة أو فبيتك إن لم يتيسر لك ذلك.

٣- كما ينهياً الإنسان ويحرص على أن يطبق سنة الاعتكاف في أيام رمضان ما تيسر له، فالاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان سنة مؤكدة، لمواظبة النبي ﷺ عليه، كما جاء في حديث عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ «أن النبي ﷺ، كان

يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده»^(١٤).

٤- الإكثار من الدعاء والتضرع إلى الله، وقد قال الله في سياق آيات الصيام **«وَوَإِذَا سَأَلَكَ بِرَبِّكَ عَنِ قَوْمٍ فَأَجِبْ»** **دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ»**

(البقرة: ١٨٦) قال الإمام ابن كثير: (وهي ذكره تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء، متخللة بين أحكام الصيام، إرشاد إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة، بل وعند كل فطر)^(١٥). فللدعاء رونق خاص في رمضان قبيل الإفطار، ووقت الأسحار، وفي القيام وفي كل وقت يدعوا المسلم ربه راجياً الإجابة من مولاه.

٥- الإكثار من تلاوة القرآن ومدراسته: لما لا ورمضان هو شهر

القرآن، قال تعالى: **«شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ»**

(البقرة: ١٨٥). ولقد كان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها، وكان الزهري إذا دخل رمضان قال: فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام. وكان سفیان الثوري: إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن^(١٦).

فهيا شمر سواعذك نحو كتاب ربك قراءة واستماعاً، وتدبراً، ومدراسته، بورد أو حزب، أو جزء محدد في يومك وليلتك، لتتذوق

حلاوة كلام مولك، لتؤنس روحك، لتسكون قريب من ربك، وإياك وهجر القرآن في رمضان وهي غير رمضان فتكون من المستجلبين غضب ربهم، وشكوى نبيهم، قال تعالى: **«وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا»** (الفرقان: ٢٠).

٦- الإكثار من الذكر: فمن أجل العبادات التي تنير الطريق، وتسمو بالروح، وهو قوت القلوب والتي لا حياة للمسلم بدونها، وقد أمر الله بالإكثار منه فقال تعالى: **«وَتَأْتِيهَا الْبُيُوتُ أَتْمَامًا أَذْكُرُوا»** **اللَّهُ ذِكْرًا كَبِيرًا»** (الأحزاب: ٤١).

ونهى عن ضده فقال: **«وَلَا تَكُن مِّنَ الْفَاقِلِينَ»** (الأعراف: ٢٠٥). وقد كان ذلك السلف يدركون عظم الذكر والعبادة في رمضان: (قال النخعي: صوم يوم من رمضان أفضل من ألف يوم، وتسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة، وركعة فيه أفضل من ألف ركعة)^(١٧).

فاحرص أيها الصائم على ذكر الله في كل وقت، وبالأخص في صباحك، ومساءك، وقبل نومك، بما تيسر لك من ذكر^(١٨).

واعلم أن المباحات تصير قربة وطاعة يؤجر الإنسان عليها بالنية، وهذا يثمر أن المكلف في رمضان يمكن أن يتخذ كل أعماله الدنيوية طريقاً لكسب الثواب وتعظيم الأجر عند الله تعالى بالنية أي: إذا قصد بها الطاعة والقربة^(١٩). والأصل في هذه القاعدة قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»^(٢٠). فالأكل والشرب يصير قربة بالنية،

- ١٣- أخرجه الترمذي. (١٦٢ / ٣) وقال: حسن صحيح.
- ١٤- البخاري (١٠٥/٨). رقم: (٦٥٠٢).
- ١٥- فتح الباري (٤ / ٢٥١). وينظر الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٣ / ١٤٤).
- ١٦- البخاري رقم: (٣٧).
- ١٧- البخاري رقم: (٢٠٢٦).
- ١٨- تفسير ابن كثير (١ / ٥٠٩).
- ١٩- لطائف المعارف. (ص: ١٧١).
- ٢٠- لطائف المعارف. (ص: ١٥١).
- ٢١- وخصوصاً ما يمكن أن نسميها الأذكار الأساسية، وهي: سبحان الله، الحمد لله، الله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله -حسبي الله ونعم الوكيل- الاستغفار بصيغته المختلفة- لا إله إلا أنت سبحانك إنني كنت من الظالمين).
- ٢٢- ينظر: الأشباه والنظائر، للسيوطي (ص: ١٢)، الفتح المبين شرح الأربعين، لابن حجر (ص: ١٢٨).
- ٢٣- البخاري رقم: (١).

- بيشر العاقل بوقت يقل فيه الشياطين؟ من أين يشبه هذا الزمان زمان؟ ينظر: لطائف المعارف، (ص: ١٤٧).
- ٦- ينظر: إحياء علوم الدين، للغزالي (١ / ٢٣٤).
- ٧- سنن ابن ماجه (١ / ٥٢٩). رقم: (١٦٩٠). وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري، ولفظه: «رب صائم حظه من الصيام الجوع والعطش».
- ٨- سنن الترمذي، (٤ / ١٦٧). رقم: (٢٣٧٨). وقال: هذا حديث حسن غريب.
- ٩- سنن الترمذي، (٥ / ٤٤٢). رقم: (٣٥٤٥). وقال: حديث أنس هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.
- ١٠- البخاري (٨ / ٦). رقم: (٥٩٩١).
- ١١- البخاري، رقم: (٦).
- ١٢- قال ابن حجر: (والجود في الشرع إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي، وهو أعم من الصدقة، وأيضاً رمضان موسم الخيرات، لأن نعم الله على عباده فيه زائدة على غيره، فكان النبي ﷺ يؤثر متابعة سنة الله في عياده) فتح الباري (١ / ٢١، ٤ / ١١٦).

وعملك الذي تخرج إليه يصير طاعة بيتك، والمرأة تعمل في بيتها تحسب الأجر من ربها يكون عمل طاعة تؤجر عليه..

رزقنا الله حسن القول والعمل، ومغفرة في شهر الغفران، والعتق من النيران.

الهوامش

- ١- البخاري، ٣ / ٣٦، رقم: ١٩٠٤.
- ٢- أي: أحازي عليه جزاء كثيراً من غير تعيين لمقداره، وغيره من العبادات أظهر سبحانه بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها، وهذا بيان لعظم فضله وكثرة ثوابه: لأن الكريم إذا أخبر بأنه يتولى بنفسه الجزاء اقتضى عظم قدر الجزاء وسعة العطاء. ينظر: فتح الباري، لابن حجر (٤ / ١٠٨).
- ٣- ينظر: لطائف المعارف، لابن رجب الحنبلي، (ص: ١٤٧).
- ٤- مسند أحمد (١٢ / ٥٩). رقم: (٧١٤٨). وحسن إسناده الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب (٢ / ٩٩).
- ٥- قال بعض العلماء: هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضاً بشهر رمضان كيف لا يبشر المؤمن بفتح أبواب الجنان؟ كيف لا يبشر المذنب بفتح أبواب النيران؟ كيف لا